

## المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

مراد بالحاج

باحث

### 1 - تمهيد

إن الأزمة العميقة لمسألة التوازنات التي يمرّ بها العالم منذ أكثر من عشرينين وبخاصة منطقة الشرق الأوسط، ولا سيما التغييرات السياسية والاجتماعية العميقة التي عرفتها هذه المنطقة بعد الانهيار المتتالي للأنظمة الشمولية التي طالما قعت كل أشكال التعبير التي قد تصدر عن شعوبها- ساهمت اليوم في انبثاق مسار وثقافة ثورين تظهرا في شتى أشكال الرفض لكل ممارسة للحكومات الجديدة أو للمؤسسات التابعة لها، قد تعيد أي شكل من أشكال ممارسات الماضي ذات المنحى القمعي. وانتشرت أثناء ذلك ثقافة سياسية هي بمثابة ضبط لقوانين المشاركة، وتحديد للعلاقات الممكنة بين المجتمع والدولة، التي تعدّ بدورها العلاقة المنظمة لبقية العلاقات الأخرى، في إطار ما يسمّى المشاركة الشعبية في العملية السياسية وخلق جهاز إداري قادر على التنفيذ الفعّال للسياسات الإنمائية وتلبية مطالب المواطنين وبناء الديمقراطية. هذا المناخ النوعي يمثّل اليوم بالنسبة للمغرب العربي، نداء جديد لوعي الحكام وخاصة الشعوب، بمسألة إعادة الحياة والنجاعة إلى بنيات إتحاد المغرب العربي، الذي خرج إلى النور في شهر فيفري في العام 1989، استجابة إلى التحديات التي أفرزتها تحضيرات وأعماله المشروع الأوربي آنذاك. فان كان على أوروبا أن تعمل من أجل دعوتها إلى محيط المتوسط

فعلى المغرب أن يجد طريقه للاندماج الاقتصادي والعمل على بناء الفدرالية التي أصبحت اليوم ومنذ ما يزيد عن عشرين ثلاث، أي منذ بداية الثمانينات إحدى الشروط الأساسية من أجل البقاء، في ظل التكتلات التي عرفها العالم ولا يزال، على المستويين الاقتصادي والسياسي بين دول أوروبا وأقصى آسيا وبشكل أقل دول الخليج العربي التي تسعى منذ عقد لثمتين روابطها في ما بينها على المستويين الاقتصادي والسياسي وقد توفقت إلى حد ما.

ولكن إذا أراد أن يُبعث إلى الوجود فإن على المغرب العربي ككيان، البحث أولاً عن توازنه الداخلي الذي يعكسه الواقع المحلي القطري، هذا التوازن الذي أكد عليه الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة في خطاب بالماريوم الشهير من العام 1973 بجنكة وحده السياسي المتمرس. من أنه يجب عليه أن يهضم الاختلافات القطرية والاختلافات الداخلية للمغرب. لكن هذه الاختلافات التي لا يجب أن ننظر إليها كعناصر تفرقة وتشتت وإنما كعناصر جوهرية ومفصلية في مكونات شخصيته التاريخية. يجب عليه إذن التعامل مع واقعه كمغرب تعددي (Maghreb pluriel) في إطار التعددية الديمقراطية لقيمه الحضارية، ثم وبناء عليه، يجد حلوله الخاصة به، السياسية والمؤسسية.

في إطار القمة الثالثة لمجلس رئاسة المغرب العربي في ليبيا أكد الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي قائلاً: "إن مصيرنا بين أيدينا وأن نجاحنا مشروط بصدق نوايانا وإخلاص إرادتنا". إننا هاهنا أمام عمق الإشكال الذي يواجهه الإتحاد المغاربي الذي تم إدراجه كهدف جوهري في دساتير الدول الأعضاء منذ نيلها الاستقلال، ولكن هو حلم نثوق إليه الشعوب أكثر من الحكومات تجاه المعطيات والوقائع الإمبريقية والموضوعية والواقع السياسي وبرغم "الإنجازات" المحتشمة في سياق ما يسمّى بـ "التعاون المثمر" الذي عادة ما يكون بين أية دولة وأخرى. أمام السؤال الذي يفرض نفسه إثر عديد المحاولات لبناء الإتحاد، هل يمكن القبول بفكرة أن المغرب الكبير هو الأساس هوس الشعوب؟

كانت كلمات الرئيس التونسي السابق بن علي تبدو وكأنها إجابة عن هذا السؤال من خلال عمل جادّ وتحرك مسؤول مختلف الحكومات المغاربية حيث كانت الإرادة السياسية دائما محل تساؤل وتمثل عائقا أساسيا وسرمديا لأيّ بناء جماعي. هذا ما سنحاول تبينه في هذا المقال/البحث الذي سيأخذ شكل تأليف؛ هو في الآن نفسه تاريخي وسوسيلوجي، للمسار الذي رسمته "أسطورة" المغرب العربي الكبير أي: تاقصات التاريخ، من الاستعمار إلى حدود حالة التخلف، لكن هذه العوامل لا تقدم تبريرات كافية لتفسير تحقيق الوحدة. بينما عوامل الوحدة، كالإسلام واللغة العربية، هذه الثقافة هي راسب التاريخ الغنيّ وتشكل مرتكزات للهوية المغاربية، وتعطي بالتالي أسسا صلبا لأجل بناء المغرب الكبير. فإرادة الأنظمة شبه ثابتة وشبه صلبة في البداية على الأقل ظاهريا -أي زمن بداية التحركات نحو بناء المغرب في العام 1989- لكنها كانت ترزح تحت ضغوطات توجهات ديمقراطية تترنح بين المترددة والمزيّفة، والتي شكّلت حسب اعتقادي - وكذلك حسب عديد الملاحظين في الشأن السياسي والسوسيلوجي المغاربي والعربي- أكبر نقاط الضعف نحو هذا البناء، كما سوف نبرهن على ذلك لاحقا. ومن ناحية أخرى قوة الدفع التي كانت تقوم بها الشعوب المغاربية ولا تزال وبكل الصّور حتى المتطرفة منها<sup>1</sup> من أجل الاندراج في مشاركة فعلية في الحياة السياسية وأوجد هذا الأمر مسارا للتحوّلات في هذه المجتمعات التي تجاوزت الإطار الوطني القطري إلى كامل المنطقة المغاربية. والنظرة السياسية ذات التوجّه نحو بناء "مغرب شعوبي" كان يدعو إليها الرئيس الجزائري الراحل بومدين" بعيدا عن مصالح الدول لابد من تشييد مغرب عربي كبير للشعوب (شعوب المنطقة)، إن شعوب هذا الفضاء الرحب هي في الأصل متّحدة بفضل لغتها ودينها وحضارتها، طرق تفكيرها، تاريخها وحتى في تطّعاتها نحو المستقبل".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> روجي جارودي، الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، دار عام الفين، باريس. الطبعة الأولى 1992.

<sup>2</sup> Sadok BEN KHALIFA, *Le Maghreb à la recherche de son unité*, impression U.G.T.T, Tunis, oct. 1992, p. 27.

## 2 - الوحدة المغاربية، الفكرة القديمة الحديثة

إرادة الإتحاد (أو فكرة الإتحاد) هي فكرة قديمة/حديثة، إنها تحافظ على جاذبيتها تجاه جماهير المغرب الكبير وتثير في الحكام والأنظمة السياسية في المنطقة الانسجام والتوافق نحو الإجماع حولها في وقت ما.

إن معالجة العوامل الإيجابية - على زحمتها - كأس لهذه الوحدة وطمس في المقابل للعوامل السلبية هي إرادة للتعميم على الأشياء ومحاولة لتوجيه الذات وجهة بعينها، وهو ما يمكن وصفه بأنه عمل مبتور وغير مكتمل ويمثل في معالجة الأسباب والعوامل المؤدية إلى الوحدة أو العكس، أي في تلك العوامل المضادة التي تحول دون تحقيق الوحدة، وكذلك في أن تقوم باختيار من بين عدة تأويلات. ولكن لا يعني ذلك إهمال دور الفاعلين، لأننا نعتقد بعمق أن تحقيق الوحدة المغاربية يخضع بصورة كبيرة للظروف الموضوعية وللفاعلين الاجتماعيين عموماً، ولكن أيضاً وخصوصاً، للإرادة السياسية للأنظمة الحالية التي يعيش أغلبها في الوقت الراهن ما يسمى بإعادة الصياغة في ظل التطورات والمستجدات المفاجئة - بالنسبة لتونس وللقطر الليبي على وجه التحديد- التي أدخلتها في منعطف تاريخي لا يزال مجهول المستقبل عبر الالتفاف الشعبي على الأنظمة الكليانية التي رزحت تحتها السنين الطوال وأحكمت قبضتها عليها منذ خروج الاستعمار الفرنسي والإيطالي. ولكن لا يعني ذلك اتخاذ موقف نهائي من المسألة، لأنه ما لا يزال طرحه بصفة نظرية هو التساؤل حول أية عوامل يمكن أن تكون حاسمة ومحددة لهذه الوحدة؟ فهل هو التاريخ المشترك؟ وهل هي العروبة؟ وهل هو الإسلام؟ وهل هي التطلعات الشعبية؟ أو المؤسسات السياسية؟ أم هل هي كل هذا بالإضافة الى عوامل أخرى؟... أم هي كل هذا وعوامل أخرى؟ ما الذي يحول دون هذه الوحدة؟ وما الذي ينقصها، أو تفتقده حتى تكتمل وترى النور؟ ما الذي يستوجب فعله حتى ننجز؟ ما هي الظروف التي يجب توفرها لاكتمالها؟ ومن هم الفاعلون الحقيقيون الذين سوف يتولون مهمة إنجازها؟...وهل هناك عوائق حقيقية لتحقيق الوحدة المغاربية؟ هل هي

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

الشراهة للسلطة؟ أم هل هو الاستعمار الجديد؟ أم النزاعات الحدودية بين الإخوة المتعادين أو الأعداء؟

هل هو التباين (la divergence) الاقتصادي-السياسي المغربي؟ أم هل المشكلة يكمن في القيادات السياسية وأسلوب تعاطيها مع هذه المسألة الدقيقة، وبالتالي غابت الإرادة السياسية الحقيقية لتحقيق الوحدة في زمن التحالفات الإقليمية والتجمعات الكبرى؟ هناك إذن بعض الأهداف الصغرى تحققت أو تكاد ولكن المعركة الكبرى والحقيقية لم يتم حتى الخوض فيها إلى الآن. لكن بإمكاننا أن نصيغ الاستفهام بشكل عكسي: هل هناك تعبئة مضادة للتوجه وحدوي ومن هم المستفيدون منها؟ أو بالأحرى من هم دُعائها؟ إنهم بلا شك دعاة الاستعمار الجديد ودعاة التفرقة الذين يتبدلون فكرة الوحدة والاندماج أو اختلاط الشعوب (le brassage des peuples). فضلا عن ذلك فإن التطلعات الحرة والنزوية للشعوب دائما ما يتم توظيفها في خدمة القادة-الحكام من أجل مصلحتهم الشخصية والعائلية والقطرية الضيقة.

يحوم حول قضية الوحدة أيضا قلق قد يهدد بانتشار الشك الكلي والتعبئة المضادة، وهذه مسألة لا يشك فيها أكثر المتفائلين بفكرة الوحدة. وأمام هذا التهديد يجب توضيح الأفكار وتحديد نماذج الفعل وحدوي (modalités d'action)، لأن الناس (سكان المغرب الكبير) يؤمنون بانها خارج الحدود الإقليمية الضيقة وخارج الحروب وهي أقوى من ممارسات الحكومات والأنظمة الموالية للخارج أو الداعية للتفرقة.

إن الأنظمة السياسية في المنطقة اليوم وبالأمس، هي العائق الأساسي لإنجاز الوحدة، وبلا شك فإن تطلعات الشعوب المغربية عديدة ومتنوعة ولكن سير في اتجاه غير اتجاه الحكومات، فلو توقرت لها عديد العوامل المناسبة لتحقيق البعض من تلك التطلعات وفي مقدمتها الوحدة، فتصبح إذن هذه الأخيرة واقعا أكثر منها يوطويا.

إن إشكالية الوحدة المغربية هي المحور لكل المسائل الأخرى العالقة بل هي الحل السحري الذي يمكن أن يُقدم لها، وحيث أنّ حيثيات الأحداث سرعان ما تبلى وتطرأ

عناصر أخرى (وربما أنتهي من كتابة هذا المقال تكون قد ظهرت أحداث جديدة على الساحة المغاربية وما أكثرها الآن) مثل إشكاليات الحكومة المغربية مع جبهة البوليزاريو حول الصحراء الغربية إلى النزاع حول الحدود الجزائرية المغربية، إلى الاضطرابات التي تسببها الجماعات الإرهابية في المنطقة التي كبر حجمها بعد انضمام المئات بل الآلاف من الشباب التونسي والليبي والمغاربي عموما إلى سوريا وليبيا وغرب إفريقيا وقبل ذلك إلى العراق. وبعد الانفلات الأمني الذي عرفته تونس وليبيا إبان الثورتين مما أتاح لهذه الجماعات إعادة ترتيب نفسها وأصبحت أكثر جاهزية وأشد فتكا بعد حصولها على أسلحة نوعية من القطر الليبي...

وقد أكد الدكتور المنصف ونّاس<sup>1</sup> كباحث مختص في الشأن المغاربي -وفي نفس السياق- بأن فكرة المغرب العربي كانت قد استعملت كأداة للتعبئة النضالية والسياسية ضد الاستعمار ولكن لم يصبحها تصوّر عملي استراتيجي لتحقيقها فعليا وفي الواقع، وزادت الأحزاب السياسية الحاكمة من التوقع على الذات بعد الاستقلال واكتفت بتوجهات مستقلة ووقع تغليب المصلحة الوطنية على المصلحة المغاربية بما لا يخدم فكرة "الإتحاد" بعد ظهور ما يسمى بالقوميات القطرية، إضافة إلى الانشغال بخلافات حدودية: تونسية / ليبية، مغربية / جزائرية. لكن رغم ما ذكره الدكتور ونّاس من معوقات جمّة حالت وتحول دون البناء الوحدوي لدول المغرب والمفعم بشيء من التشاؤم، فإن لنا من اليقين الثابت وبرغم كل هذه الأحداث أن هذه الفكرة العتيقة - ونقصد بها فكرة الوحدة- ستبقى دائما متجددة وحديثة وتحافظ على قدر هائل من الجاذبية، لامتلاكها لمبرراتها التاريخية ولمشروعيتها الشعبية والأيدولوجية والجغرافية والحضارية.

إن هذا الاتجاه نحو البناء الوحدوي "حامل" لعديد الحلول وفي مقدمتها الحلول الاقتصادية والاجتماعية وأهمها على الإطلاق معضلة البطالة التي تعصف بشباب

---

<sup>1</sup> مداخلة قدمها الباحث الدكتور المنصف ونّاس في إطار ندوة نظمها ما يسمى "بأحزاب المعارضة" في تونس في إطار إحياء ذكرى تأسيس إتحاد المغرب العربي في شهر جويلية من العام 2007.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

المنطقة وتلقى به نحو المجهول، وأهم ملامح هذا المجهول هو الإرهاب والجماعات الإرهابية المتأهبة على التخوم، خصوصا في هذا المناخ المغمم بالتنافر والتشردم والتناحر الذي يهيمن على المنطقة سواء بعوامل داخلية أو خارجية.

### 3 - عوامل الوحدة: التاريخ والحضارة المشتركين

لو ألقينا نظرة سريعة على الخارطة الجغرافية للمنطقة والخطوط الحدودية سوف نجدها اصطناعية بين جميع الأقطار، إنها أشبه بجزيرة مملقة بين المحيط والبحر والصحراء. وتمثل هذه الأرض وحدة جغرافية ممتدة ومثبتة حول سلسلة جبال الأطلس ومحاطة بحدود طبيعية وهي البحر المتوسط في الشمال، والمحيط الأطلسي في الغرب والصحراء في الشرق وكذلك في الغرب. فليس هنالك من حدود بين الدول الخمس يمكن اعتبارها حدودا طبيعية، عدا أنها لا تنتمي إلى أي رسم جغرافي، فلا أي من تلك الحدود الخمس لها أصل تاريخي. وهذا العامل الحاسم يمثل أبرز مؤشر على شرعية تقويض تلك الحدود الوهمية التي أريد لها أن تلعب دورها في التفرقة والتفتيت والتشظي للأمة المغاربية. والمغاربة يجدون عمق أصولهم في التاريخ المشترك، وتحديدًا تحت إرادة التحرر، فهذه الإرادة هي في الآن نفسه توق إلى الوحدة وإطار للفعل في نظر جميع المغاربيين. بحيث "يبدو المغرب العربي كحلم تحت الشمس"<sup>1</sup> على حد تعبير محمد المصمودي الوزير التونسي الأسبق للخارجية صانع الوحدة التونسية-الليبية التي أجهضت في وقت قياسي. وقد غدّى الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين هذا الحب السري للمغرب الكبير عندما أكد بأن "حب المغرب الكبير في قلب كل مغاربي"<sup>2</sup>. إن المغرب العربي كقوة كامنة لا يزال موجودا برغم الحدود الوهمية المفروضة ضد الطبيعة وبمباركة من المستعمر ودعم من الحكام المغاربة مهما موهوا

<sup>1</sup> Abdallah LAROUÏ, *L'histoire du Maghreb, Un essai de synthèse*, Paris, Maspéro, oct. 1970, p. 28.

<sup>2</sup> A. LAROUÏ, *L'histoire du Maghreb... op. cit.*, p. 31.

وحاولوا الظهور بمظهر المساند للوحدة، لأنها وحدها تصريحتهم وخطبهم بقيت تردد تلك "الأشودة" في غياب تحقيقها على أرض الواقع بصورة ملموسة.

إن أكبر تحدٍّ تواجهه المنطقة هو تخليص التاريخ من الحواجز الوهمية للجغرافيا، والذي يمرّ حتماً - وحسب رأيي - عبر تخليص التاريخ من الاستعمار ( la décolonisation de l'histoire)، ونعني به؛ الاستعمار الثقافي والاقتصادي، بما في ذلك القرارات الكبرى والمصيرية التي تمس بالسيادة القطرية لبلدان المغرب. إن الانتقال من طور الوجود بالقوة إلى طور الوجود بالفعل بالنسبة للوحدة إن كان يُراد لها أن تتحقق فلا بدّ أن تمرّ عبر التحرّر من الاستعمار ذي المنحى الخفي والأشدّ فتكاً وهو الاستعمار الاقتصادي والسياسي وكذلك الثقافي، هذا الذي لا يزال جاثماً على المنطقة بل وترسخ في إطار ما يسمى تحرير المبادلات التجارية والمالية، إن القادة المغاربة كما النخب يدركون هذا التحدي النوعي، وهو أكبر رهان تواجهه المنطقة على الإطلاق، فاللعولة جوانب اقتصادية هامة ولكنها تتعدى ذلك لتكون لها أبعاد ثقافية وسياسية مهمة. فهي تحتوي على جملة من المبادئ والقيم التي تكوّن القاسم المشترك بين الشعوب. وقد انعقد اجتماع في المكسيك سنة 2007 أحدث "ضجة" عبر تحالف تكوّن لأول مرة من قبل مجموعة الـ 77 بين بلدان آسيوية ولائينية وإفريقية - في غياب للمغاربة والعرب عموماً- من أجل خلق ميزان قوى للمطالبة بتغييرات جذرية في منظومة التجارة، رغم جدول الأعمال الذي فرضته القوى المهيمنة.

إن الرجوع إلى التاريخ يعني التمكن من وسيلة للنضال وإعادة بناء الهوية انطلاقاً من الوعي بالتاريخ حول مسألة المغرب العربي الذي سوف يتخض عنه الوعي السياسي بصفة طبيعية والمتمثل في النضال المشترك ضد الاستعمار في وقت من الأوقات، ولكن نحن اليوم أمام دوقا (Dogma) استعمارية خلفها وكرسها الاستعمار نفسه منذ القرن التاسع عشر وهي قاعدة "عدم التعدي على الحدود" القائمة بكل الوسائل المادية والمعنوية. إن سكان المنطقة وأحون بالتاريخ الاستعماري وعيهم باستعمار التاريخ ولكنهم لا يزالون غير واعين بما هو منتظر منهم، حيث يكتبون تاريخهم بصفة فردية، ثمّ

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

يتحدثون (الحكام) عن التاريخ الموحد والجماعي في المنتقيات والأعياد وهم في نفس الوقت يكرسون الفردانية والتفرقة والتشردم والتآكل والانذار.

### 3 - 1 - التاريخ المغربي، حراك لا ينتهي من أجل الوحدة

إن أهم مرحلة تاريخية يمكن الاستناد إليها للحديث عن الوحدة بقطع النظر عن الفترات التي عرفت تعاقب الحضارات على المنطقة هي بلا شك مرحلة الاستعمار، حيث ظهرت المقاومة المشتركة ضد المستعمر والجهود الموحدة والمتضامنة للتحرر فكان أول عامل للوحدة هو الدين الإسلامي بلا شك. لقد مارس الإسلام على البربر تأثيرا حاسما كعقيدة، حيث أثار فيهم النزعة للاندماج في العالم العربي الإسلامي الناشئ آنذاك عند دخول الجيش العربي منطقة شمال إفريقيا عام 670 م وشيّد مدينة القيروان.<sup>1</sup>

لقد كانت للمغرب عدة وجوه على المستويين الجغرافي والحضاري ولكنه كان منطقة متناغمة وموحدة، أو بالأحرى حاملة لعناصر الوحدة بالقوة. إن تاريخه هو محاولة أصيلة للوحدة تجاه شراسة الغزاة الذين تداولوا عليه على مدى تاريخه.

لقد أكد بيار بورديوي<sup>2</sup> في كتابه حول استعمار الجزائر- أن المستعمر الفرنسي كان يحاول محو الهوية والثقافة المحلية المغاربية عبر آلياته المزدوجة: آليتي العسكر والثقافة، تلك الثقافة المحلية التي تربط الإنسان بأرضه وبلغته ودينه، وهي تلك السياسة الاستيعابية التي تحدت عنها أيضا غارودي<sup>3</sup> بكل تجرد وموضوعية وحيادية المثقف، ما عبر عنه بـ "عملية التحطيم المرافقة للغزو": تحطيم الثقافة والقيم المحلية المرجعية للجماعة الأصلية. إن الفترة التي كان فيها المغرب العربي يمرّ بأحلك مراحلها، هي تلك التي تميّزت بالتفكيك والهدم الذي قام به المستعمر على مدى كامل فترة الاحتلال التي حاول أثناءها تطبيق

<sup>1</sup> Mahfoudh GHEZALI, *L'Unité du Maghreb : les techniques juridiques de l'intégration maghrébine*, Thèse de doc. d'État, fac. de droit, Paris Sorbonne.

<sup>2</sup> Pierre BOURDIEUR, *Sociologie de L'Algérie*, PUF, 1958.

<sup>3</sup> روجي قارودي، المرجع السابق، ص 59.

سياسة تفكيك الثقافة العربية والإسلامية وأكثر من ذلك السعي إلى محاولة فرنسة المجتمع المغاربي - وبخاصة في ما يتعلق بالقطر الجزائري- وهو نفس ما قامت به إيطاليا تجاه القطر الليبي أثناء الهيمنة الاستعمارية في القرن الماضي.

لقد كانت مسألة التحرر أهم شواغل الأقطار المغاربية زمن الاستعمار وخاصة مع نهاية الحرب العالمية الثانية وصدور البنود التي أقرها الرئيس الأمريكي ولسن وكان أهمها: "حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها"، مما حفّز الشعوب المستعمرة على المطالبة بالاستقلال عبر كل الوسائل وفي مقدمتها المقاومة المسلحة. فقد سجّل بلدان المغرب في ذلك الوقت هدفين هما:

- أولا: السعي الى استقلال كل قطر على حده.

- ثانيا: العمل على بناء مغرب موحد.

لقد كان التركيز كليا على مستوى الآلية السياسية التي كانت تعمل من أجل نيل الاستقلال. لكن كان لاندلاع ما يسمى بـ "حرب الجزائر" في غرة نوفمبر من العام 1954 الدور الحاسم في الإسراع بإنهاء الاستعمار المباشر الذي كان يُعلن على أنه شكل من أشكال الحماية على كل من تونس والمغرب. ولكن هذين القطرين المغاربيين لم يهتئا بإنهاء الاستعمار أي بإنهاء الحرب، حيث عملا على مواصلة الجهاد مع الجزائر حتى الاستقلال.

### 3 - 2 - التكل من أجل نيل الاستقلال

أثناء تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ المنطقة عملت كل القوى الجهادية تقريبا على التوحد ضد العدو المشترك والمتمثل في المحتل الفرنسي، وقد جمعت بينها آنذاك عدة عوامل كالتاريخ والجغرافيا والسياسة واللغة والدين. وكان استقلال كل قطر وحتى على مراحل زمنية متفاوتة هدفا مشتركا، وقد أصبح هذا العامل أي الاستقلال، بمثابة حجر الزاوية لبناء الإتحاد المغاربي. لقد كانت كل عملية إيقاف يقوم بها المستعمر ضد أحد القادة البارزين من المجاهدين سواء من القادة الميدانيين (حملة السلاح) أو من

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

السياسيين أو من الدبلوماسيين - إن جاز لنا استعارة هذا الوصف - في هذا القطر أو ذلك يكون لها رد فعل جماهيري ملموس إما عبر الانتفاضات أو الإضرابات العامة<sup>1</sup> في بقية البلدان المغاربية الأخرى.

### 3 - 3 - المحاولات الوحودية للقوى الحية

بدأ هذا الإتحاد في البلدان الثلاثة: تونس والجزائر والمغرب، أولاً على مستوى الطلبة الذين أعلنوا رفضهم لكل وصاية أجنبية وانضوا تحت الاتحاد القومي المغاربي، وعلى إثر ذلك نشأ اتحاد الشغاليين المغاربة الذي سعى إلى توحيد التحرك وتنسيقه والفعل داخل إطار قومي مغاربي.<sup>2</sup> وكان دور النقابات الطلابية والمهنية حاسماً من حيث نشر الوعي الوطني والقومي وهيكله الأحزاب السياسية، حيث أصبح الشغاليين بمثابة جيش احتياطي في إطار النضال السياسي الشعبي سواء كان نضالاً مسلحاً أو دبلوماسياً، أي بشقيه العسكري والسياسي-الدبلوماسي. لقد كانت سنوات الظلم والقهر والاستعمار هي التي قوت الحركة وحفزتها نحو الفعل المشترك ذي الطابع المغاربي.

### 4 - الإتحاد المغاربي ككيان مضاد للكلونيالية

انطلق الإتحاد المغاربي لأول مرة في العصر الحديث ما بعد الحرب العالمية الأولى، وتحديداً بعد انتصار الحلفاء الذين تخلوا عن وعودهم التي قطعوها على أنفسهم مع الدول "الضعيفة" بشأن المضيّ قُدماً في منحهم استقلالهم، بدءاً بجلاء قواتهم العسكرية إلى آخر مراحل نيل الاستقلال السياسي بعد أن انتصروا في الحرب. ولكن زاد هذا الإتحاد تدعماً بعد الحرب العالمية الثانية وأخذ بعداً حكومياً رسمياً بين دول المنطقة خاصة بعد استقلال تونس والمغرب، حيث تفاوضت حكومة مونداس فرانس مع هذين

<sup>1</sup> S. BEN KHALIFA, *Le Maghreb à la recherche de son unité*, impression U.G.T.T, Tunis, oct. 1992, p. 37.

<sup>2</sup> M. GHAZALI, *L'Unité du Maghreb... op.cit.*, p. 6.

الأخيرتين لفتك الارتباط وإبرام اتفاق سلام حتى تُنفرغ للجزائر التي سوف تعلنها في ما بعد على لسان الجنرال دي قول "جزائر فرنسية".

#### 4 - 1 - المغرب العربي دعامة لتحرير الجزائر

في حوار أجراه الرئيس التونسي الأسبق الزعيم الحبيب بورقيبة مع جريدة لوموند الفرنسية موضحا فيه الهدف من الإتحاد المغاربي قال: إن إتحاد المغرب العربي يندرج في إطار المسار الصحيح للتاريخ، يجب اليوم وقبل كل شيء إزالة الحواجز التي أُنجمها الاحتلال (الفرنسي)، إن المغاربة يحملون نفس الأفكار، وكذلك نفس التطلعات.<sup>1</sup>

إنها كلمات حماسية ومعبرة ولكنها تنحصر في المستوى النظري أو الدعائي البحث، وهي تندرج أيضا في سياق تاريخي في ما يسمّى بالخوف من المدّ التآصري الذي أبدى بعض القادة المغاربة مخاوفهم منه وفي مقدّمهم الزعيم بورقيبة. هؤلاء الزعماء الذين كانوا حديثي العهد بالسلطة، رأوا في الناصرية تهديدا حقيقيا لسلطانهم الحديث العهد والمتماهي في النموذج الفرنسي-الاستعماري في حقبة عرفت بتشعب الساحة السياسية والشعبية العربية بالفكر القومي والتحرر والمقاومة والبناء العربي المشترك، وبأفكار الثورة وصعود تيار نظريات الاشتراكية العربية، وبالتالي فإن كلمات الزعيم بورقيبة لم تكن تنبع عن قناعات سياسية شخصية أو استراتيجية قومية، إنما كانت أكثر منها تعبيرا عن مخاوف ظرفية وأهداف مصلحية بعبارة أدق، أملت تلك الشعارات التي يمكن تصنيفها في خانة المناورات السياسية وهو ما أكدّه سلوكه أو سياسته "الواقعية" على أرض الواقع كما يرى عديد الملاحظين والنقاد آنذاك. والتي لم تكن تعبّر - وهو الرأي الأقرب إلى الحقيقة - عن نفس توجهات الجزائر أو القادة الجزائريين تحديدا، لأنه كان من أوكد مصالحها أي الجزائر بعث هذا الإتحاد إلى الوجود للمساهمة في تحريرها مبدئيا على الأقل من الاستعمار الفرنسي، وهو ما أجمع عليه أغلب المطلعين على الشأن المغاربي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Le monde, du 30 oct 1958

<sup>2</sup> المنصف وناس، المرجع السابق.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

لم يكن القادة التونسيون والمغاربة يعتقدون تماما في ما كانوا يقولونه أو ما يدلون به من تصريحات نارية أحيانا آنذاك لوسائل الإعلام في ما يتعلق بالوحدة، وهو جزم ورد أيضا في بعض كتابات الجزائري محمد حسين آية أحمد<sup>1</sup> مؤكدا - وهو ما أجمع عليه جلّ المتقنين المغاربة بعد ذلك- بأن ما يصرّح به هؤلاء القادة لا يتعدى كونه صيغة دبلوماسية مفتعلة أشبه بالحبوب المهذّئة الموجهة للجماهير المغاربية تجاه ما كانت تشكّله القاهرة من قوة ضغط إعلامي وجماهيري عربي عام. وهو استنتاج تأكد بعد نبيل القطر الجزائري الاستقلال بما لا يدعو مجالا إلى الشكّ.

#### 4 - 2 - ظهور المغرب الكبير كفكرة جوفاء

عشية استقلال الجزائر أصبحت كلمات "المغرب العربي الموحد" تُردّد في كل وسائل الإعلام المغاربية دون استثناء، وفي عديد المنابر السياسية، بمناسبة أو بدونها حتى أصبحت كلمات جوفاء لا تحمل أي معنى، وقد سعى من خلالها المسؤولون السياسيون - وبصفة وهمية - إلى تغذية تطلعات الشعوب والاستجابة إليها، وخصوصا الطبقات الاجتماعية الفقيرة والفئات المحرومة من أوكذ ضرورات الحياة الطبيعية، لغاية الدعاية من أجل بناء مجتمع واحد واقتصاد واحد يكفل جميع حاجيات شعوب المنطقة ويقمها شروط الاقتصاد الأجنبي وتداعياته الاقتصادية والاجتماعية وفي مقدمتها البطالة. ولكن في الواقع حلّت الحكومات في المجتمعات المغاربية عشية الاستقلال محل المستعمر واستعارت منه آليات الضغط بكل صور البطش الممكنة.

ما يمكن استنتاجه من أفكار في ما تقدم من تحليل في هذا الجزء من المقال، أن تاريخ المغرب العربي هو بمثابة الدفع والجذب مرة نحو الوحدة وأخرى نحو التفكك. من المؤكد أن المستعمر جزأ المنطقة وجعل بين كل قطر وآخر حدودا وفواصل مصطنعة. إنه التاريخ المشترك وتشابه الحن التي عاشتها وتعيشها شعوب المنطقة إلى الآن في سياق

<sup>1</sup> Hocine Aïét Ahmed, *La guerre et l'après-guerre*, Paris, Ed. Minuit, 1976, p. 70.

الثورات الاحتجاجية ضد الاستبداد وظلم الحكام، وهي فقط التي عمّقت وعيها بوحدها وانصهارها الطبيعي. فبينما حاول وعمل الاستعمار الأوربي على التقسيم الإداري للمنطقة وتجزئتها إلى أنظمة متباينة، فإن مقاومة هذا الاستعمار نفسه كانت الحلقة التي أعطت للمغرب العربي القوة لكي يولد وينمو حتى على مستوى الخيال الشعبي - في غياب عزيمة حقيقية من لدن الأنظمة السياسية التي كرسّت وروجت لفكرة الوحدة من أجل أهداف أيديولوجية لصيقة بالظرفية التاريخية ومرتبطة تحديداً بنهاية الاحتلال الفرنسي والأوربي عموماً.

## 5 - الحضارة المشتركة بين جميع المغاربة

من بلد مغربي إلى آخر يتشابه السكان في معتقداتهم وكذلك في لغتهم وحتى في لهجاتهم ونفسياتهم وتطلعاتهم.

### 5 - 1 - الإسلام واللغة العربية، عاملان للوحدة

يقول محمد الشرفي في كتابه "المغرب العربي، الممكن والضروري": "منذ العشرينات الأولى للغزو العربي للمنطقة في شمال إفريقيا انتشر الإسلام سريعاً في المناطق الأربعة للمغرب العربي، فالشعب المغربي - ويقصد به المغربي- اليوم ليس فقط مسلماً إجمالاً بل هو في غالبته سنياً ومالكياً".<sup>1</sup>

إنها وحدة عميقة - ونقصد هنا الوحدة على المستوى الديني- ومهمة جداً، فالتونسي في المغرب أو المغربي في الجزائر يجد نفس العادات والتقاليد، والتجانس كذلك حتى في طريقة الفعل والسلوك والتفكير، باختصار الإحساس بالانتماء إلى نفس الحضارة.

في الواقع، كان الإسلام أداة ناجعة للمقاومة ضد الاستعمار الأوربي، وتقريب الشعوب المستعمرة، وكان قد لعب دوراً محورياً كذلك في الحفاظ على الهوية العربية-

<sup>1</sup> Mohamed CHARFI, « Maghreb : le possible et le nécessaire », in *Lamalif*, avril 1993, p. 13.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

الإسلامية أمام حملة التغريب التي مارسها المحتل بشدة، وأقام سياسات وأيديولوجية للاحتواء، وقد مارس الإسلام بشكل قوي ما يسمى بالثقافة المضادة، - (contre-culture) وأتاح للمغاربة زمن الاستعمار الفرنسي والإيطالي الحفاظ على الوعي بالهوية على أرضهم فكان عامل تعبئة دينامية بامتياز ضد كل محاولة احتواء.

باختصار أصبحت فكرة "المغرب العربي" خلال "ليل الاستعمار الطويل" - وفضل الإسلام - من أهم التطلعات التي نتقاسمها شعوب المنطقة على أمل أن يصبح موضوعا للمستقبل المشترك من خلال تحقيق الوحدة السياسية.

وكانت اللغة العربية تمثل اللغة الوطنية لدى المغاربة، لا تحتل المكانة الأولى لدى المواطن المغربي على مستوى الشعور والعقل فحسب ولكن أيضا في انتسابه لهويته أصلا.

## 5 - 2 - عودة الإسلام الشعبي أو المحلي

نلاحظ هنا بأن العودة إلى الإسلام في تلك الظروف لم تكن على المستوى العقائدي الروحاني البحت، وبالتالي لا يمكن الحديث عما يمكن تسميته بصعود الإسلام أو الإسلاموية، كإيديولوجيا جهادية مثلها هو الحال اليوم، إنما هي عودة شعبية أو شعبية (idée communautaire) تطغى عليها النزعة الوطنية أكثر من أي شيء آخر. وهو إحساس عمّ الجميع الشعب والنخبة وامتدّ على كافة الجغرافيا المغربية - ونعمل هنا على نقل وقائع سجلها التاريخ أكثر منه تقديم أحكام قيمة- فعندما نتحدث عن الإسلام اليوم في المغرب العربي آنذاك، فإننا نتحدث عن دين تمّ توظيفه في الصراع من أجل الاستقلال، وقد تمّ توظيفه أيضا في ما بعد تاريخيا في كل الحروب العربية تقريبا ضد الغزاة والمغتصبين الغربيين والإمبريالية الغربية، وخاصة حديثا - في حرب العراق الأولى في العام 1991- من طرف الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، ولكن جرى ذلك في ظروف مغايرة تماما وبأشكال مختلفة، حيث يدرك القادة السياسيون أو الحكام الذين غالبا ما كانوا في حلة العسكر - سواء المغاربة أو العرب- ما للدين الإسلامي من تأثير سحري على العقول، وكيف يمكن بصورة لقائد وهو يؤدي

الصلاة ببدلة حربية، أو بخطاب يتضمن بعض الآيات القرآنية الصريحة أو المعاني الدينية، أن يعي الرأي العام المحلي والعربي-الإسلامي.

على خلاف الديانات الأخرى فإن الإسلام يشكّل عاملا للتعبئة والوحدة ليس له مثل بالنسبة للمؤمنين دون تمييز قومي أو عنصري، فهو -أيضا- علم وعمل وطريقة في العيش والوجود، إنه أكثر من عقيدة، فهو مجموعة من المسلمات (ensembles de dogmes) تربط المؤمن بحياة روحانية بأكملها، وتحدّد العلاقة بينه وبين ربه وبين بقية المؤمنين وغير المؤمنين في إطار ما يسمّى العلاقات الاجتماعية. من ثمة "يمثل الإسلام ثقافة بأكملها، إنه في الآن نفسه أسلوب للعيش وطريقة في الوجود، فهو بالنسبة للمسلمين إطار مندمج للحياة من خلال منظومة أخلاقية كاملة". إنها كلمات لهشام جعيط<sup>1</sup> تلخص بوضوح التأثير الكبير للإسلام الذي له حضور قوي في أحاسيس الجماهير وكذلك في وعيمهم بالمقارنة مع سلوك السلطان أو الحاكم.

ولكن يوجد إلى جانب ذلك لائكية في المغرب العربي، ولكنها عموما غير معادية للإسلام، هذه اللائكية مثلا تجسدت بوضوح في سياسات الزعيم بورقيبة ومارسها في تونس دون أن يرفع شعارها أو أن يقرّها صراحة، مصرحا في ذلك السياق بشيء من حنكة السياسي المتمرس، بما أسماه ممارسة "الإسلام التقدّمي" "l'islam progressiste" رافضا التعبير الحرفي عن مصطلح "اللائكية" لاعتبارات عديدة: سياسية واجتماعية وإيديولوجية وإقليمية وأخلاقية ... وتجسّد هذا التوجه البورقيبي - "اللائكي" من خلال عدة تشريعات وإصلاحات اجتماعية، عدّها بعض المتحفّظون - ممن كانوا يعدّون بالنسبة إليه رفاق الكفاح ضد المحتل الفرنسي - انزلاقا خطيرا وخروجا عن روح الإسلام، وصل إلى أحيانا حدّ التكفير.

<sup>1</sup> Hichem DJAIT, *La personnalité et le devenir arabo-islamique*, Paris, Éditions Seuil, 1974, p. 140.

إن زعماء مثل الحسن الثاني والحبيب بورقيبة، ممن قاموا بسن قوانين وتشريعات مثل حرية المرأة، منع تعدد الزوجات والتحرير على إفطار رمضان في تونس مثلا الخ...، توّضح بكل جلاء النماذج الإيديولوجية اللائكية التي كان الزعماء المغاربة والزعيم بورقيبة تحديدا يريد تكريسها، ولكن في المقابل، ما من أحد من هؤلاء الزعماء حاول المساس بجوهر الإسلام في كليته وفي مضمونه.. لكن المشروع السياسي العربي - وخاصة المغربي والتونسي تحديدا- وإن عمل على احتكار الشرعية الثقافية والدينية كما ذهب إلى ذلك الدكتور المنصف ونّاس<sup>1</sup> فإنه لم يعمل على طمسها أو إقصائها - ونقصد هنا المسألة الدينية- أو إحالتها إلى الشأن الخاص مثلما اقتضى الأمر عند تطبيق اللائكية في أوروبا والغرب عموما. نغلافا لذلك، تولى الجهاز الحاكم السلطة الدينية والسياسية في الوطن العربي دون استثناء وقد تجسدت من خلال حفاظ كل الأنظمة العربية تقريبا على وظيفة "المفتي" وإن خلق ذلك صداما حسب الدكتور ونّاس بين الأتلاجنسيا (من فقهاء وعلماء ورجال دين ومثقفين) وبين محتكري الشرعية (الجهاز الحاكم و/أو من يمثله) ولكنها مسألة على أهميتها لا تدرج في مجال بحثنا الحالي.

ففي منطقة المغرب لا يمكن فصل الإسلام عن المجتمع وعن التاريخ، إذ يعتبر الإسلام الأرضية التي يتمفصل حولها كامل العمل السياسي وهو ما يفسر لجوء رجال السياسة دائما في البلاد الإسلامية عموما إلى الأخذ بعين الاعتبار للإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية، بمعنى أن الدين الإسلامي يستعمل في تسيير شؤون الدولة لا لشيء إلا للتضييق على معارضتهم وأعدائهم، وقد كان تاريخيا وغالبا بالنسبة للحكومات العربية والإسلامية أنها لم تجد أنجح من الإسلام كوسيلة لضرب اليسار المتطرف مثلا، الذي كان دائما في حالة غليان في فترات تاريخية متقدمة، وذلك في محاولة من أجل التخلص من مضايقاته وما يسببه لها غالبا من إحراج.<sup>2</sup> وهو ما تصنعه هذه

<sup>1</sup> المنصف ونّاس، "الخطاب العربي؛ الحدود والتناقضات"، سلسلة موافقات، الدار التونسية للنشر، 1992، ص 52.

<sup>2</sup> M. CHARFI, « Maghreb : le possible ... », *art. cit.*, p. 13.

الأنظمة في الآن نفسه في إطار منطق التخضع مع المتطرفين الدينيين، الذين كانوا يُكنون في تونس في فترة الثمانينات بـ"الإخوانجية" نسبة إلى "الإخوان المسلمين" والمرتبطين بالإسلام الأرثوذكسي.

إن الأرض المغاربية تشكل على المستوى الجغرافي وحدة في حد ذاتها لا يطرأ عليها شك، إضافة إلى الثقافة العربية الإسلامية التي تعدّ مصدر إلهام للإعلام.

يمكن أن نقول إذن -في إطار الاستنتاج- بأن كل قطر مغاربي لا يمكن له أن يدّعي بأنه أمة. إن المدافعين عن هذه الفكرة- الأمة - يتحدثون عن الوطن والأرض والحكومة... وهي تشكل عناصر سوسولوجية مهمة للدولة التي من الصعب تاريخيا فصلها عن الأمة.

عندما كان المغرب العربي تحت الهيمنة الاستعمارية تمّ إدراج دول المنطقة ضمن المنظومة الرأسمالية في ثوبها الاستعماري وقد كان السبب غير المباشر في ظهور ونمو الإحساس القومي المغاربي. ولكن كان ذلك الإحساس سببه المباشر هو الاستغلال الذي مارسه المستعمر، وقد تمّ بدوره الشعور بالتضامن بين سكان المنطقة والذي كان على أشده، وكانت تدّيه الحركات الشعبية التي كانت تنطلق داخل كل بلد. عدا ذلك فإن قوات الاستعمار طبعاً هي التي قامت بتقسيم المنطقة إلى بلدان شتى لكي تتمكن من التحكم والسيطرة عليها فرادى وكل على حده، لكن القادة المغاربة هم الذين بدؤوا إثر خروج المستعمر يطرحون المشاكل الخاصة بأقطارهم كلٌّ على حده دون الاهتمام بإشكالات جاراتها ومن هنا ظهر مفهوم الأمة بالمعنى القطري الضيق، ولكن رغم ذلك لا تزال فرص قيام الوحدة قائمة إلى اليوم من خلال عناصر تاريخية مهمة وحاسمة وفي مقدمتها اللغة.

## 6 - اللغة العربية، لغة القرآن: عامل هام لبناء الوحدة

إن اللغة عنصراً مؤسساً لما يمكن أن نسميه ثقافة وهي أم الرموز الثقافية. والمجتمع الذي ينبغي أن تكون له ثقافة عليه أن يتبنى لغته حسب مقولة عالم الاجتماع التونسي

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

محمود الذواودي<sup>1</sup> وهو ما جرى فعلا زمن الاحتلال الفرنسي من أجل مقاومة الاحتلال الثقافي الذي ترافق مع الاحتلال العسكري، ففي الجزائر مثلا فإن الحكومة لا تتوقف عن ترديد مقولة الشيخ ابن باديس الشهيرة: "العربية لغتي والإسلام ديني".

ولم يكن المغرب العربي قد احتلّ تماما رغم خضوعه عسكريا من طرف قوات الاحتلال الفرنسي، لأنه توجد قوة مقاومة رمزية هائلة تتمثل في اللغة العربية والإسلام، وقد كانا يمثلان في الآن نفسه عاملا هائلا وحاسما لوحدة الصفوف. رغم وجود عدة لهجات في المغرب العربي، كما في الوطن العربي عامة.

اليوم وفي كل الأقطار العربية يتم تعلم اللغة العربية الكلاسيكية في المدرسة واللهجات المحلية في البيت والشارع، وأمّا في ميادين العمل الإداري والمكاتب والحياة العصرية، فُستعمل اللغة العربية اليومية (لغة الصحف والوسائل السمعية البصرية) التي تتوقع بين اللغة المحلية (العامية) والفصحى (لغة الضاد). وهي حالة معاشة ومنتشرة تقريبا في كل الأقطار العربية ولا تطرح أية مشاكل سواء على المستوى المغاربي أو العربي. فهاتين المنطقتين نضمّنان عديد اللهجات ولكن في مجملها نتكلم العربية، وهو واقع يشكل وحدة لغوية حقيقية يقطع النظر عما طرأ على استعمالها من تشوّهات وتحريف.

## 7 - جدلية التقارب والتنافر

### 7 - 1 - مشكلة الحدود المغاربية والصحراء الكبرى

فرغم الإلحاح على إبراز العناصر الإيجابية والموضوعية لتبرير بناء الوحدة، فإن ذلك لا يخفي وجود عناصر من نوع آخر وذات مشارب متعددة تحول دون قيام تلك الوحدة، وهي بمثابة العناصر السلبية.

---

<sup>1</sup> محمود الذواودي، نحن والمتغيرات العالمي، ندوات منتدى الجاحظ، الحلقة الثانية، الطبعة الأولى، ديسمبر 2008.

ففي سنة 1984 التقى زعماء دولتي المغرب والجزائر حول الحدود الفاصلة بين البلدين بوساطة الدبلوماسية التونسية مما غدّى أملا جديدا لإزالة التوتر حول الصحراء الكبرى وفتح مجالا نحو الذهاب قُدما بعد سنوات النزاع الطويلة التي خلفت خسائر مادية وبشرية لجميع الأطراف بلا طائل. وحيث أعيد فتح العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وبناء علاقات تبادل مع فتح الخطوط الجوية والحديدية بين القطرين، ومعالجة المشاكل العالقة لرعايا البلدين الذين تم طردهم أثناء النزاع، وبعث مشاريع اقتصادية مشتركة في إطار آفاق مغاربية جديدة مشتركة كانت الدولة التونسية طرفا فيها، ووصل هذا التعاون إلى مستوى متقدم جدا إلى درجة الاشتراك في استغلال الموارد الطبيعية.<sup>1</sup>

وقد بدا الإطار المغاربي آنذاك الإطار الأكثر مناسبة لخلق مناخ يسمح بإيجاد حلول لمسألة الصحراء. وهو ما غدى الأمل لدى الجماهير العريضة، ومثله التقارب بين القطرين المغربي والليبي.. وقد كانت كلها حركات أملت شواغل اقتصادية ظرفية كالمواد الأولية الصناعية، وانهار سعر البترول وكذلك الإشكالات الاجتماعية (انتشار الجماعات الإسلامية والتهديد الأمني).

## 7 - 2 - الصراع الحدودي بين تونس والجزائر

في جانفي 1959 طلبت تونس من الحكومة الفرنسية إعادة النظر في التقسيم الحدودي حول منطقة الصحراء. وقد أخذ الصراع بين تونس والجزائر شكل تقديم المحجج التاريخية والقانونية وأحيانا عسكرية. وقد ردت السلطات الفرنسية مذكرة الحكومة التونسية بالرضى بالحدود الحالية ضمنا عبر الخارطة التي قبلت بها في اتفاق 1955 المتعلق بالاستقلال الداخلي.

عندما كان الأمل قائما لدى الفرنسيين في الظفر بـ"جزائر فرنسية"، وفي الوقت الذي كان فيه القادة التونسيون - وفي مقدمتهم الزعيم بورقيبة- تحت الضغط النفسي

<sup>1</sup> Mohamed JEBIL, « La nouvelle donnée Marocco-Algérienne », in *Lamalif*, n°144, 1989, p. 45.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

والاستعداد للتفريط في بعض الجزئيات - التي أصبحت في ما بعد "أهميات" - من أجل نيل الاستقلال أو بالأحرى في إطار سياسة "الخطوتين إلى الأمام والخطوة إلى الوراء" والتدرج في "الظفر بالمتاح" والمطالبة بباقي الحقوق مرحليا. وقد قدّم الزعيم مسنودا بمجموع الشعب كقائد كاريزمي - مقترحا لحلين ممكنين من خلال فتحه الطريق لتسوية سلمية للمشكلة وكان كالتالي:

- إما أن تعتبر الصحراء كمنطقة للاستغلال المشترك بين البلدان المغربية الثلاثة: تونس، ليبيا والجزائر.

- وإما إعادة النظر في تقسيم المنطقة الحدودية، لكي تلتحق تونس ما تبقى من أراضيها.

وكان الزعيم بورقيبة قد استند إلى الاتفاق الثنائي بين فرنسا وتونس بحضور تركيا، على الحدّ الفاصل بين البلدين تونس وليبيا سنة 1910. ولكن إذا قبلت فرنسا بالتفويت في الخط الحدودي الذي ينطلق من "بئر الرومان"، فإن كل القسم الحدودي الذي يمتدّ انطلاقا من هذا الأخير و"غارة الحامل" الذي لم تُوضَع له حدودا مطلقا بصفة متعمّدة من قبل المحتل الفرنسي، نظرا لما كانت تخزنه هذه المنطقة الحدودية من ثروات نفطية هائلة، وهي حركة مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية لضمان حصتها من تلك الثروات.<sup>1</sup>

لتلك الأسباب وغيرها لا يمكن للسلطات التونسية أن تجد إجابة لمطلبها. وساهم الصراع الجزائري-المغربي في تخفيف حدة التوتر على الحدود التونسية-الجزائرية. وتم سنة 1968 إمضاء اتفاقا أخيرا على خطوط الحدود النهائية بعد أشهر طويلة من المفاوضات بين البلدين الذين أصبحا في ما بعد يشكلان نواة لبناء المغرب الكبير. ولكن برز مشكل في الأفق، حيث أن كل بلد أراد أن يظهر بأنه هو أصل النواة وأن رئيس دولة ذلك البلد هو الصانع لهذه الوحدة التي لا تزال بصدد التشكيل آنذاك.

<sup>1</sup> S. BEN KHALIFA, *Le Maghreb à la recherche... op. cit.*, p. 191.

## 8 - الأسباب الاقتصادية والأمنية الراهنة، دفع جديد للوحدة المغاربية

### 8 - 1 - المبادلات التجارية بالمغرب الكبير

تتكون الصادرات بالمغرب الكبير أساسا من المنتجات الفلاحية والصناعية والمواد المنجمية والطاقة. وإذ تعتمد تونس والمغرب الأقصى في صادراتها على المنتجات الصناعية أكثر، بينما تعتمد ليبيا والجزائر في صادراتها على مواد الطاقة بوصفها من مقومات الاقتصاد الوطني - باعتبارهما من كبار المنتجين لها في العالم- أكثر من المواد الصناعية المتنوعة لتطوير الصناعة داخلها، ثم وفي مرتبة ثانية من المواد الغذائية رغم كونها لم تحقق الاكتفاء الذاتي الغذائي.

وتُعرف بلدان المغرب العربي باختلال الميزان التجاري لأن كمية الصادرات أقل بكثير من قيمة الواردات التي تكاد لا تذكر، خصوصا في بلدي ليبيا وتونس بعد الحركات الاحتجاجية الشعبية - في إطار ما أصبح يصطلح عليه بالربيع العربي- وما عقبها من اختلال أمني ونزول معدلات الاستثمار في جميع المجالات الصناعية والفلاحية والتجارية وأيضا السياحية، وبذلك يكون ميزانها التجاري في حالة عجز غير مسبوق. إذ واصل عجز الميزان التجاري الغذائي في تونس تفاقمه ليبلغ 4 ر 430 مليون دولار خلال الأشهر الخمسة الأولى من سنة 2014 مقابل 232 مليون دولار خلال نفس الفترة من سنة 2013.

وأوضحت إحصائية لوزارة الفلاحة التونسية اليوم أن ارتفاع قيمة العجز يعود إلى الانخفاض الكبير في قيمة الصادرات بنسبة 8 ر 31 بالمائة لتصل الى 4 ر 518 مليون دولار مقابل 760 مليون دولار خلال نفس الفترة من السنة الماضية وتراجع الواردات بنسبة 3 ر 4 بالمائة لتبلغ قيمتها 949 مليون دولار مقابل 991 مليون دولار خلال الأشهر الخمسة الأولى من سنة 2013.\*

\*تقرير المعهد الوطني للإحصاء لسنة 2013.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

جدول - تطور المبادلات التجارية التونسية مع باقي بلدان إتحاد المغرب العربي  
(بالمليون دينار)

2007		2006		2005		البلدان
واردات	صادرات	واردات	صادرات	واردات	صادرات	
370.4	458	963.2	823.2	661.9	611.6	ليبيا
122.6	180.1	259.1	237.4	175.7	237.2	الجزائر
50.8	112.6	94.3	140.8	77.9	141.6	المغرب
0.9	10.5	0.6	10.6	1.8	8.7	موريطانيا
544.7	761.1	13170.2	1212	917.3	999.1	المجموع

تتعامل أقطار المغرب مع الكثير من الدول على المستوى التجاري مثل المجموعة الاقتصادية الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان والشرق الأوسط وروسيا وبعض دول أوروبا الشرقية، ولكن أعلى نسبة تبادل تجاري كانت ولا تزال مع المجموعة الاقتصادية الأوروبية (تصديرًا وتوريدًا)، بينما نجد نسبة المبادلات التجارية فيما بين البلدان المغاربية ضعيفة جدا لا تصل إلى نسبة 5% من مجموع المبادلات الخارجية، رغم الجهود الكبيرة والاتفاقيات العديدة التي تشجع على التبادل والتعاون فيما بينهم. وتقتصر المبادلات الخارجية بين بلدان المغرب العربي على عدد محدود من السلع أبرزها النفط.

## 8 - 2 - الارهاب والتخريب في منطقة المغرب العربي

بعد تداخله مع الإرهاب، يتوقع التخريب بين تهديد الاقتصاد وزعزعة الاستقرار الأمني للمنطقة. ففي فترة الثمانينات كان التخريب يعتمد على أفراد غير منظمين وعلى تحركات وأنشطة غير ممنهجة، إذ كانت المواد المهربة هي تلك المواد الغذائية المدعمة من طرف الدولة كالحليب والسكر والقهوة ومادة الزيت... أما في فترة التسعينيات فقد شمل التخريب مجال الآلات الالكترونية كأجهزة الاستقبال التلفزيوني وأجهزة الكمبيوتر

والأدوات المكتبية بصفة عامة، ومع حلول سنة 2000 أخذ التهريب منحى تصاعديا وأصبح أكثر تنظيما، وتوسع بشكل خطر بعد انضمام أغلب المستثمرين من الجزائر وتونس وخاصة بعض أفراد الأسرة الحاكمة السابقة في تونس لممارسة هذا النشاط بل واحتكاره لما يوفره من أرباح طائلة، والانتقال الى تهريب المواد البترولية وألياف النحاس والعجلات المطاطية للسيارات والشاحنات، مروراً إلى تهريب الآثار الذي يبقى من اختصاص العصابات الدولية.

لكن مع تردي الوضع الأمني في ليبيا وبعد سقوط نظام القذافي، شهد هذا البلد انتشارا واسعا للأسلحة وللمجماعات المسلحة، إذ أصبحت أعمال التهريب أكبر خطر يهدد المنطقة وخاصة القطرين التونسي والجزائري، بعد أن لجأت عصابات التهريب والمجماعات الارهابية المسلحة إلى تجارة الأسلحة لما فيها من مداخيل ضخمة، الأمر الذي دفع بالسلطات الجزائرية والتونسية الى تكثيف التعاون والتنسيق لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة بعد صدور تقارير استخباراتية تؤكد تزاوج الإرهاب والتهريب، وانتقل هذا الأخير انتقل من تهديد الاقتصاد إلى زعزعة الاستقرار الأمني في المنطقة.

لقد باتت ظاهرة التهريب على الحدود بين الجزائر وتونس من جهة وليبيا وتونس من جهة أخرى، إحدى أكبر التحديات التي تواجهها سلطات ومصالح أمن البلدان المتاخمة، لارتباطها بشبكات الجريمة والمنظمات الإرهابية، ولانعكاساتها السلبية على اقتصاد البلدان الثلاثة، لكن ما يرهق الأجهزة الأمنية من حرس الحدود والجمارك وقوات الجيش هو قدرة المهربين على التأقلم مع مختلف الإجراءات التي يتم وضعها للحد من هذه الظاهرة، حيث يلجؤون للخطط والتصميمات الذكية للإفلات من المراقبة والملاحقة مستمرين في نشاطهم رغم الأخطار التي تتهددهم. مما جعلت السلطات الجزائرية تتخذ إجراءات وتدابير لمحاصرة عصابات تهريب الوقود، انطلاقاً من مصادر التكوين بمحطات التوزيع العمومية والخاصة، فانفجرت الأزمة قليلاً خاصة بعد إقرار تحديد كمية التكوين بالبليزني والمازوت، للسيارات والشاحنات، إضافة إلى إقرار إجراءات ردعية للمحطات المشبوهة بالتعامل مع هذه المافيا، تصل إلى حدّ تجريد

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

السجل التجاري وسحب رخصة الاستغلال لفترة محددة أو بصفة نهائية إذا ثبت التعامل مع المهربين.

قامت السلطات الأمنية كذلك بإجراءات رقابية مشددة وسط محطات التوزيع التي تركز فيها أعوان الأمن للمراقبة. وغيرها من الإجراءات الصارمة، لكن تطبيقها في الميدان لم يدم طويلا بعد أن اصطدمت بحيل محترفي نشاط التهريب، وتعاون بعض رجال الأمن وشرطة الحدود من البلدين مع كبار المهربين الذين كبدوا اقتصاد البلدين التونسي والجزائري معا خسائر كبيرة.

إن كل المغاربة وبدرجات مختلفة ورغم تنوعهم الثقافي والحضاري يتوقون لتحقيق الوحدة من أجل حياة ومستقبل أفضل. فقد وصل هذا التوق ذروته مع حكومات بداية الاستقلال في تونس والجزائر والمغرب. إن تحقيق الاتحاد المغاربي هو مسؤولية الشعب اليوم وهو ما يستوجب قبل كل شيء أن يكون حرا ومحترماً من قبل حكوماته. ولكن بالنسبة للحكومات والأنظمة الكليانية العربية عموما والمغاربية بصفة خاصة، فقد عومل الشعب طيلة عقود كقاصر، وتعبير رياضي فهو في المعادلة السياسية كان ولا يزال يساوي صفرا. أما عدم الاهتمام بالفقراء والمحرومين والمهمشين فهو إحدى العلامات البارزة والدالة على الأنظمة الكليانية والدكتاتوريات على مرّ العصور. وإذا يعدّ سوء توزيع حصص التنمية على كامل الجغرافيا الداخلية للبلد من المؤثرات الهامة للتخلف في بلدان الجنوب وهي أيضا من القواسم المشتركة بين بلدان المغرب، إذ أنتجت ظواهر اجتماعية مريضة واختلال عام سكاني وبيئي واقتصادي واجتماعي لصالح المدن الكبرى والشريط الساحلي والعاصمة بصفة تفاضلية. ذلك أنه أثناء المخططات التنموية منذ نيل الاستقلال وإلى حدود تاريخ ثورات الربيع العربي كان موقع الريف وضيعا وتحقيريا ولا يزال، في غياب سياسة تنمية للريف مندمجة

ومتوازنة، مما ولد اختلالا هيكليا وتسبب في خلق حالة من التوتر الداخلي للمدن نتيجة أمواج النازحين الريفيين إلى المراكز الحضرية.<sup>1</sup>

إنّ البحث عن السبيل لتوحيد منطقة ممزقة بكيفية هائلة مثل المغرب العربي يستوجب أن تكون الحكومات في خدمة المجتمعات وليس العكس، في تمثني واضح من المشاركة واللامركزية. إن التغيير في المغرب العربي طالما عزاه المثقفون المغاربة إلى الشعوب،<sup>2</sup> فهي التي يمكن أن تصنع التغيير من خلال حكامها، ولكن حكامها الأحرار -وليس المواليين إلى الغرب- الذين ستختارهم من خلال الاقتراع الحر. لقد خلق الشعب أخيرا وبفضل إرادته الظروف الملائمة لتحقيق التغيير من خلال انتفاضاته في عدد من الأقطار المغاربية والعربية. إنه نفس ثوري- برأيي- أخذ في الاتساع داخل الخارطة العربية عامة من يوم إلى آخر بقطع النظر عما راج من تشكيك في منطلقات تلك الثورات ومآلها.

لعلّ الشعوب العربية هي التي ستصنع الوحدة التي لم تكن لتجد المجال للتعبير عنها مع حكام مشتتون منقسمون مرتهنون. إن المغرب العربي في حالة من التحول العميق والنهضة الشعبية التي تظهت في أشكال ثورية شعبية تدرج في إطار ما يسمّى بـ "سوسيولوجيا التبدلات" "Sociologie des mutations" وداخل جهاز مفاهيمي متحفز ونوعي مثل التغيير والتنمية السياسية والعدالة الاجتماعية...

إن التغيير مفهوم مركزي في السوسيولوجيا، ويعني الانتقال من حالة إلى حالة أخرى مغايرة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، ولكن نشير إلى أن أيّ تغيير في بدايته يحمل الكثير من الارتباك والفوضى حتى يحصل التوافق والإجماع (e consensus) والتناغم في ما بعده. فالحالات المرضية (pathologiques) للنسق

<sup>1</sup> المنصف وناس، المرجع السابق، ص 184.

<sup>2</sup> Abdel-wahab BOUHIDBA, *La famille dans l'avenir, Quêtes sociologiques, continuité et rupture au Maghreb*, Tunis, collection enjeux, Edition Cérès, 1995.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

الاجتماعي تزامن مع التغيير السياسي والاجتماعي. خاصة عند الانتقال من وضع اجتماعي-سياسي مريض (Asymétrique) إلى حالة أكثر صحة على المستوى السياسي والمجتمعي، وتبلور الاتجاه شيئا فشيئا نحو القطع مع النموذج الاستبدادي في التنظيم الاجتماعي والسياسي، وهو ما من شأنه أن يفرز وضعاً من الغليان أشبه بمرحلة المخاض التي يتطلبها جهد الانتقال العسير إلى النموذج الديمقراطي الذي قد يطول وقد يقصر، لأنه إلى جانب قوى التحول الظاهرة فهناك قوى خفية ما يسمى بقوى الثبات والجذب إلى الوراء، الشيء الذي يتسبب في طول أمد هذا الانتقال، وهي مسألة طبيعية إلى جانب الأخطار الخارجية التي تبرز بالمنطقة وفي مقدمتها الأطماع التي تتضمنها سياسة الغرب الاستعماري في المنطقة العربية والمغاربية على وجه الخصوص.

### خاتمة واستنتاج

إنّ أقطار الوطن العربي رغم أنها تحمل من القسّمات المشتركة أكثر مما تحمل من قسّمات مختلفة، إلا أن تحليل هذه الأخيرة وفهمها وتفسيرها يمثل تحدياً علمياً حقيقياً. لهذا جاءت عدة دراسات في شكل محاور متوازية مع الأقاليم الفرعية الكبرى للوطن العرب: الجزيرة والخليج والمشرق ووادي النيل والمغرب العربي. وكل من هذه الأقاليم ينطوي على خصوصيات تاريخية مجتمعية داخل المجرى الرئيسي العام للتاريخ الاجتماعي الحضاري السياسي العربي.<sup>1</sup> وهو ما يتيح وجود اتحادات فرعية على الأقل في البداية ريثما تتوفر الظروف لوحدة أشمل على المستوى العربي.

لكن لا يمكن للوحدة أن تتجسد ما لم تُحسَّ كضرورة للمرحلة بكل مكوناتها. إنّ المسألة تتعلق سواء بأمة - بالمعنى الإيديولوجي أو القانوني- أو بمنطقة جغرافية تم تقسيمها وإعادة تركيبها بصفة اصطناعية وذلك لأن الوحدة ضرورة من أجل مواجهة

---

<sup>1</sup> عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1987، ص 7.

الأخطار ومن أجل كسر دائرة التخلف التي تتعلق داخلها دول المغرب كغيرها من الدول العربية وكذلك دول العالم الثالث.

إن جوهر الوحدة هو إعادة صياغة الأمل من خلال الانعتاق السياسي والاقتصادي عبر الاعتماد على الموارد الخاصة بالمنطقة وهي الوسيلة الوحيدة للدفاع عن الذات، ولا سيما من أجل البقاء. إنها حالة المغرب على مرّ تاريخه رغم كل الرّجّات التي عرفها والذي بقي موحّدا حتى على المستوى الذهني والحضاري، وظل تاريخه واحدا لا يقبل التفتيت، لكن بلا شك فإن التاريخ الحديث للمغرب العربي مغايرا تماما، ويذكرنا هنا الأستاذ محمد الشرفي<sup>1</sup> بأنه حديث عن التاريخ الحديث فإن كل أقطار المغرب العربي عرفت العهد الاستعماري من قبّل بلدان الضفة الأخرى من المتوسط. وإذ تبقى السّمة "العربية الإسلامية" الوحيدة التي بإمكانها توحيد المغرب الكبير عبر اللغة والدين.

صحيح أن هناك عددا من المغربيين والجزائريين يتحدثون اللغة البربرية ويناضلون بصفة شرعية للبحث عن حيّز لهم للعيش كأقلية لكن دون أدنى تفكير في الانفصال، فالحضارة العربية الإسلامية نسجت وحدة عميقة ومهمّة، هذه الوحدة قدمت أدلة برهنت على نتائجها في ليل الاستعمار الطويل في مواجهة المحتل.

هكذا فإن التاريخ الحديث غنيّ بوقائع التضامن، الشيء الذي زاد في تقوية التطلع الشعبي نحو الوحدة. وللإجابة اليوم عن هذا التطلع وفي هذه المرحلة الانتقالية السياسية والاجتماعية التي تمرّ بها شعوب المغرب العربي تباعا بدءا بتونس وليبيا... لا بدّ من الانخراط في اندماج اقتصادي ما إن تستقر الأوضاع السياسية والاجتماعية في المنطقة، بعد حصول الوفاق السياسي والاجتماعي ثم الانتقال نحو الديمقراطية التي لا سبيل للأقطار المغاربية إلى نظام غيره إذا أرادت تحقيق تنمية حقيقية والخروج من دائرة التخلف، ولا بد للشعوب المغاربية بأن تقرر مصيرها بنفسها من خلال اختيار

<sup>1</sup> M. CHARFI, « Maghreb : le possible ... », *art. cit.*, p. 29.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

من يحكمها، وإرساء آليات رقابة دستورية لضمان استمرارية الشكل الديمقراطي للحكم الضامن للضرورة الصلبة للتنمية، وبالتالي للتدرج نسبيا نحو ما يسميه آلان توران تاريخانية قوية بعد ليل الاستبداد الطويل الذي جسده الأنظمة والذي خلف ليل الاستعمار مباشرة، من خلال توحيد مصير شعوب المنطقة عبر إرساء انصهار وتضامن لمصالحها التي تمرّ قبل كل شيء عبر تحقيق الوحدة السياسية. ولكن قبل تحقيق هذا الإنجاز العسير لا بد من العمل على الإفلات من دائرة التبعية للخارج بكل أشكالها وخاصة منها الثقافية والاقتصادية.

ولكن استنادا إلى خلفية اقتصادية وثقافية حالية هشّة، لا يمكن للمغرب العربي إلا أن يظل ضعيفا على الصعيد السياسي-الدولي وقد يسير نحو مزيد تفكيكه ككينونة قابلة للانصهار والتوحد خاصة وقد تهبّت عناصر تلك الوحدة، وأهمها على الإطلاق تحور شعوبه بعد ما سمي "ثورات الربيع العربي". ففي حالة تحقيق مغرب مندج فهناك إمكانيات واسعة لإنجاز إصلاحات فلاحية وصناعية مشتركة. إن الـ 12 بالمائة فقط من أراضي المغرب الكبير الخصبه كان يمكن أن تكفي دون عسر لتوفير الغذاء لأكثر من 100 مليون ساكن مغاربي، وتتيح حتى فائضا للتصدير، وهو ما لا يمكن إنجازه في ظل الظروف السياسية السابقة وحتى الراهنة. إن ثورة فلاحية بإمكانها -وبالتوازي- صناعة ثورة صناعية، تُضعف حظوظ المنطقة في التطور والنمو، وفي أدنى الحالات تحقيق الاكتفاء الذاتي، وهو ما يضاعف التأكيد بأن المشروع المغاربي لا يمكنه إلا أن يكون مؤسسة عقلانية ذات فائدة ومردودية عالية.

لكل هذه الأسباب، لا بدّ لكل الأطراف المغاربية أن تتجمع وتوحّد قواها إذا أرادت أن تخترق حاجز التخلف والإفلات من الهيمنة الخارجية والغربية أساسا.

من الشمال إلى الجنوب كما من الشرق إلى الغرب - في المغرب العربي- كانت شعوب المنطقة ولا تزال تشكو من الحدود المرسومة بين أقطارها بصفة اصطناعية. فبدلا عن وجود مغرب مقسّم وضعيف ترغب اليوم هذه الشعوب وقد سنحت

الفرصة - أن ترى مغرباً موحدًا وقويًا، يثمن المجتمع والإنسان لكي يحيى في الأخير حياة كريمة وبعد ظلمات الاستعمار والتضييق الذي مارسه الديكتاتوريات والديكتاتوريات المتعاقبة والتي كانت أشدّ وطئًا من الاستعمار أحيانًا.

### المراجع الفرنسية

1 - Houcine AIET AHMED, *La guerre et l'après-guerre*, Paris, éd. Minuit, 1976.

2 - Sadok BEN KHALIFA, *Le Maghreb à la recherche de son unité*, impression U.G.T.T, Tunis, oct. 1992.

3 - Juliette BESSIS, *Maghreb La traversée du siècle*, 1997.

4 - Abdelwahab BOUHDIBA, « La famille dans l'avenir, Quêtes sociologiques, Continuité et rupture au Maghreb », Tunis, *Collection enjeux*, éd. Cérès, 1995.

5 - Pierre BOURDIEU, *Sociologie de l'Algérie*, PUF, 1958.

6 - Jean-Yves CALVES, *Aspects politiques et sociaux des pays en voie de développement*, Paris, Dalloz, 1980.

7 - Mohamed CHARFI, « Maghreb ; le possible et le nécessaire », in *Lamalif*, avril 1993.

8 - Mahmoud DHAOUADI, *the Arab Mind*, 1983.

9 - Hichem DJAIT, *La personnalité et le devenir arabo-islamique*, Paris, Seuil, 1974.

10 - Mahfoudh GHAZALI, *L'Unité du Maghreb, Les techniques juridiques de l'intégration maghrébine*, thèse de doc. D'Etat, fac. De droit, Paris, Sorbonne, 1985.

11 - Mohamed JEBIL, « La nouvelle donnée Marocco-Algérienne », in *Lamalif*, n°144, 1989, p. 45.

12 - Abdallah LAROUÏ, *L'histoire du Maghreb*, un essai de synthèse, Paris, Maspero, oct. 1970.

13 - Le Monde, de 30 oct. 1983.

المغرب العربي، مسألة الوحدة أمام تحديات التاريخ والسياسة

14 - Roger LE TOUMOU, *L'Unité maghrébine ; dimensions et perspectives*, Ed. Centre nationale de la recherche scientifique, 1972.

## المراجع العربية

- 15 - المنصف ونّاس، "الخطاب العربي، الحدود والتناقضات"، سلسلة موافقات. الدار التونسية للنشر، 1992.
- 16 - المنصف ونّاس، مداخلة في إطار ندوة حول ذكرى تأسيس إتحاد المغرب العربي، جويلية 2007.
- 17 - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، لكّاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ط. 8، بيروت، 2003.
- 18 - غاستون بوتول، علم الاجتماع السياسي، ترجمه إلى العربية د. خليل الجيّ، "ماذا أعرف"، المنشورات العربية، ط. 2، 1979.
- 19 - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، ط. 2، 2005.
- 20 - عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1987.
- 21 - روجي جارودي، الأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، دار عام ألفين، باريس، الطبعة الأولى 1992.
- 22 - محمود الذوادي، نحن والمتغيرات العالمية، ندوات منتدى الجاحظ، الحلقة الثانية، الطبعة الأولى، ديسمبر 2008.